

تفسير ابن كثير

مَا قَطَعْتُمْ مِّنْ لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ

وقوله تعالى : (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي

الفاستقين) اللين : نوع من التمر ، وهو جيد . قال : أبو عبيدة : وهو ما خالف العجوة

والبرني من التمر . وقال كثيرون من المفسرين : اللينة : ألوان التمر سوى العجوة . قال : ابن

جرير : هو جميع النخل . ونقله عن مجاهد : وهو البويرة أيضا ; وذلك أن رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - لما حاصرهم أمر بقطع نخيلهم إهانة لهم ، وإرهابا وإرعابا لقلوبهم .

فروى محمد ابن إسحاق ، عن يزيد بن رومان ، وقتادة ، ومقاتل بن حيان أنهم قالوا : [

فبعث بنو النضير] يقولون لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إنك تنهى عن الفساد ،

فما بالك تأمر بقطع الأشجار ؟ فأنزل الله هذه الآية الكريمة ، أي : ما قطعتم وما تركتم

من الأشجار ، فالجميع بإذن الله ومشئته وقدرته ورضاه ، وفيه نكاية بالعدو وخزي لهم ،

وإرغام لأنوفهم . وقال مجاهد : نهى بعض المهاجرين بعضا عن قطع النخل ، وقالوا : إنما

هي مغنم المسلمين . فنزل القرآن بتصديق من نهى عن قطعه ، وتحليل من قطعه من

الإثم ، وإنما قطعه وتركه بإذنه . وقد روي نحو هذا مرفوعا ، فقال النسائي : أخبرنا الحسن بن محمد ، عن عفان حدثنا حفص بن غياث ، حدثنا حبيب بن أبي عمرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله : (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين) قال : يستنزلونهم من حصونهم وأمروا بقطع النخل ، فحاك في صدورهم ، فقال المسلمون : قطعنا بعضها وتركنا بعضها ، فلنسألن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : هل لنا فيما قطعنا من أجر ؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر ؟ فأنزل الله : (ما قطعتم من لينة) وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده : حدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا حفص ، عن ابن جريج ، عن سليمان بن موسى ، عن جابر - وعن أبي الزبير ، عن جابر - قال : رخص لهم في قطع النخل ، ثم شدد عليهم فأتوا النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالوا : يا رسول الله ، علينا إثم فيما قطعنا ؟ أو علينا وزر فيما تركنا ؟ فأنزل الله ، عز وجل : (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله) . وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن موسى بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر ؛ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قطع نخل بني النضير وحرق . وأخرجه

صاحباً الصحيح من رواية موسى بن عقبة ، بنحوه ولفظ البخاري من طريق عبد الرزاق ،
عن ابن جريج ، عن موسى بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : حاربت النضير
وقريظة فأجلى بني النضير ، وأقر قريظة ، ومن عليهم حتى حاربت قريظة فقتل من رجالهم
، وقسم نساءهم ، وأولادهم ، وأموالهم بين المسلمين ، إلا بعضهم لحقوا بالنبي - صلى
الله عليه وسلم - فأمنهم وأسلموا ، وأجلى يهود المدينة كلهم بني قينقاع ، وهم رهط
عبد الله بن سلام ، ويهود بني حارثة ، وكل يهودي بالمدينة .ولهما أيضا عن قتيبة ، عن
الليث بن سعد ، عن نافع ، عن ابن عمر : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حرق
نخل بني النضير وقطع - وهي البويرة - فأنزل الله ، عز وجل فيه : (ما قطعتم من لينة أو
تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين) .وللبخاري رحمه الله ، من
رواية جويرية بن أسماء ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر ; أن رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - حرق نخل بني النضير . ولها يقول حسان بن ثابت ، رضي الله عنه :وهان
على سراة بني لؤي حريق بالبويرة مستطير فأجابه أبو سفيان بن الحارث يقول :أدام الله ذلك
من صنيع وحرق في نواحيها السعيرستعلم أينا منها بنزه وتعلم أي أرضينا نضير كذا رواه

البخاري ولم يذكره ابن إسحاق .وقال محمد بن إسحاق : وقال كعب بن مالك يذكر
إجلاء بني النضير وقتل ابن الأشرف :لقد خزيت بغدرتها الحبور كذاك الدهر ذو صرف
يدور وذلك أنهم كفروا برب عظيم أمره أمر كبير وقد أوتوا معا فهما وعلما وجاءهم من
الله النذير نذير صادق أدى كتابا وآيات مبينة تنير فقال ما أتيت بأمر صادق وأنت بمنكر منا
جدير فقال : بلى لقد أديت حقا يصدقني به الفهم الخبير فمن يتبعه يهد لكل رشد ومن
يكفر به يجز الكفور فلما أشربوا غدرا وكفرا وجد بهم عن الحق النفور أرى الله النبي برأي
صادق وكان الله يحكم لا يجور فأيده وسلطه عليهم وكان نصيره نعم النصير فغودر منهمو
كعب صريعا فذلت بعد مصرعه النضير على الكفين ثم وقد علت به بأيدينا مشهرة ذكور بأمر
محمد إذ دس ليلا إلى كعب أخا كعب يسير فما كره فأنزله بمكر ومحمود أخو ثقة
جسور فتلك بنو النضير بدار سوء أبارهم بما اجترموا المبير غداة أتاهم في الزحف رهوا رسول
الله وهو بهم بصير وغسان الحماة موازروه على الأعداء وهو لهم وزير فقال : السلم ويحكم
فصدوا وحالف أمرهم كذب وزور فذاقوا غب أمرهم دبالا لكل ثلاثة منهم بغير وأجلوا
عامدين لقينقاع وغودر منهم نخل ودور قال : وكان مما قيل من الأشعار في بني النضير

قول ابن لقيم العبسي - ويقال : قالها قيس بن بحر بن طريف ، قال ابن هشام الأشجعي

:أهلي فداء لامرئ غير هالك أحل اليهود بالحسي المزنميقيلون في جمر الغضاة وبدلوا

أهيضب عودا بالودي المكممفان يك ظني صادقاً بمحمد يروا خيله بين الصلا ويرمرميؤم

بها عمرو بن بهثة إنهم عدو وما حي صديق كمجرمعليهن أبطال مساعير في الوغى يهزون

أطراف الوشيح المقوموكل رقيق الشفرتين مهند تورثن من أزمان عاد وجرهمفمن مبلغ

عني قريشا رسالة فهل بعدهم في المجد من متكرمبأن أخاكم فاعلمن محمدا تلید الندى

بين الحجون وزمزمفدينوا له بالحق تجسم أموركم وتسموا من الدنيا إلى كل معظمني

تلافته من الله رحمة ولا تسألوه أمر غيب مرجمفقد كان في بدر لعمرى عبرة لكم يا

قريش والقلب الملممغداة أتى في الخزرجية عامدا إليكم مطيعا للعظيم المكرممعانا بروح

القدس ينكى عدوه رسولا من الرحمن حقا بمعلمرسولا من الرحمن يتلو كتابه فلما أنار

الحق لم يتلعثمأرى أمره يزداد في كل موطن علوا لأمر حمه الله محكموقد أورد ابن

إسحاق ، رحمه الله ، ها هنا أشعارا كثيرة ، فيها آداب ومواعظ وحكم ، وتفاصيل

للقصه ، تركنا باقيها اختصارا واكتفاء بما ذكرناه ، والله الحمد والمنة .قال ابن إسحاق :

كانت وقعة بني النضير بعد وقعة أحد ، وبعد بئر معونة . وحكى البخاري ، عن الزهري ،

عن عروة أنه قال : كانت وقعة بني النضير بعد بدر بستة أشهر .